عدد خاص يصدر عن صحيفة

14 أكتوبر

بمناسبة أعياد الثورة اليمنية الخالدة

قراءة في صفحة من صفحات تاريخ اليمن

المناضل النعمان .. وقصة كفاحه ضد الإمامة

في الثاني والعشرين من أكتوبر سنة 1909م، ولد الابن السادس للشيخ محمد نعمان، في قرية ذبحان في قضاء الحجرية تعز المتربعة على ذروة جبل شامخ تلامس هامته السماء وتكلله سحب كثيفة بيضاء. هذه القرية يتوقف عندها التاريخ لكونه سيخرج من معطفها أحد رواد الحرية، والحركة الوطنية اليمنية إنه الأستاذ أحمد النعمان، كان والده مثل أهل القرية مطالبه من الدنيا يسيرة، ولكن هذا الرجل المتواضع، كانت نفسه تمتلئ بالطموحات العريضة وهي أن يكون أبناؤه من العلماء، حتى يشعر بالفخر أمام الآخرين من أبناء قريته. و طويت صفحات الأيام، والشهور، والسنين، وتعاقب الليل والنهار، وكبر الطفل احمد بن محمد نعمان وبلغ من العمر سبع سنوات.

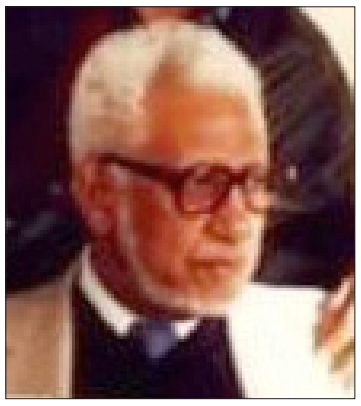

الفقيد أحمد محمد النعمان في اخر أيامه

وفجأة ينتزع من عالمه الجميل الوردي إلى عالم الجد، والتعب، فقد ادخله والده الكُتاب ليتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم. وكان الصبي أحمد محمد نعمان قد ظهرت عليه النجابة وهو صبي فقد تمكن من المتفوقات على أقرانه في الكُتاب في حفظ سور القرآن الكريم. وكانت الأقدار تعده أنّ يكون فارس قرية ذبحان، بل فارس اليمن دون منازع يصارع الاستبداد بمختلف صنوفه وألوانه، كان سلاحه العلم والمعرفة، . وتكونت في نفسه الصغيرة الغضة كرهه الشديد للظلم والظالمين. ولقد رأى ولمس، عمال، وجنود الإمام يحيى يسومون الناس العذاب الغليظ، فيفرضون عليهم الإتاوات، والجبايات المجحفة باسم الإمام، ومن لم يقدر من أهالي القرية على سداد ما عليه من الضرائب، فإنه يهلك هو وأهله، ويكون التنكر من نصيبهم من القرية، كل هذه الصور البائسة والمشاهد المؤلمة طبعت في وجدان الصبي الصغير وأخذت تنمو، وتتضخم في نفسه الصغيرة، وكانت معه في حله وترحاله، وعندما شب أحمد نعمان عن الطوق، وصار شابًا يافعًا حلق بجناحيه الرقيقين إلى سماء الحرية الصافية والنقية العريضة والواسعة، وظل يحارب، ويقاوم الظلم، والجور، والاستبداد ولم تنكسر له قناة لتبديده من سماء اليمن، وإزاء هذا ألقى الأستاذ نعمان في غياهب سجون الإمام يحيى الموحشة، وكان الموت قاب قوسين أو أدنى منه وذلك بعد القضاء على حركة أو ثورة 48م التي كان أحد روادها هو ورفيق دربه رائد الحرية الشهيد محمد محمود الزبيري الذي قتل في ظروف غامضة في جبال برط.

إخوانه

ونقترب إلى دار بيت والد أحمد نعمان لنتعرف على حياته، أمتلأ البيت بعدد من الأخوان، والأخوات، وكان أحمد نعمان السادس من أخوانه في الترتيب ـ كما قلنا سابقاً ـ، ولكنه بات الأول على أخوانه في طلب الدراسة و العلم والمعرفة، وبعد مراحل في التعليم الديني الطويل صار أحمد نعمان شيخاً جليلاً، وعالماً كبيراً يشار إليه بالبنان في قرية ذبحان وما جاورها. ويذكر الأستاذ أحمد نعمان اسماء أخوانه وأخواته، فيقول: « كان قبلي عبد الحميد، علي، عبد الله، ونعمان، أنا السادس من الأطفال الذكور، ومن و رائي أيضًا إناث أذكرهم بالأسماء زبيدة، فاطمة، وخديجة، وزينب».

خطواته الأولى

وكان الصبي أحمد نعمان، يخطو خطواته الأولى في مشوار حياته يلهو، ويلعب مع أقرانه الذين في سنه والذين لم يتجاوزوا السابعة من العمر. وفي هذا الشأن، يقول: « . . . قضيت سبع سنين ولم يكن هناك أي شيء أعمله. كنت ألعب في القرية مع الأطفال . . . وكان يحدث بيننا وبين أبناء القرى المجاورة تبادل الرجم بالأحجار، يغلبوننا أو نغلبهم» . والحقيقة أنّ الحياة الخشنة، والقاسية التي كان يعيشها أبناء قرية ذبحان، وأبناء قرى اليمن بصورة عامة زرعت في نفوسهم الصغيرة قوة الشخصية وعلى تحمل الشدائد، والصبر على المكاره، والجرأة على اختراق حواجز الصعاب، . كل هذه الصفات الصلبة التي ذكرناها، كان يتحلى بها أحمد نعمان النابعة من بيئته الوعرة. وكيفما كان الأمر، فطبيعة حياة القرية هيأته وشكلته ليتصدى لكافة ألوان الظلم بكل صلابة، وعزم وفضلاً عن ذلك كانت روحه تنزع إلى التململ، والتمرد، والثورة وأخذت تترعرع وتكبر شيئاً فشيئاً في نفسه. وعندما اتسعت مداركه العلمية، وتغيرت مفاهيمه للأعراف والعادات والتقاليد، والأفكار الجامدة، والخامدة والتي كانت سائدة في قريته بصفة خاصة واليمن بصفة عامة تكشفت أمام عينيه بأنّ بلاده التي كانت تسمى (العربية السعيدة) تعيش في دياجير الظلام الموحش، وتحكم في ظل إمام مستبد عزلها عن شتى صور الحياة، والتطور، والتقدم وأنها صارت في ذيل ركب الحضارة بعد أنّ كانت في التاريخ البعيد تقود ركب الحضارة الإنسانية.

نعمان بك

والحقيقة أنه من المؤثرات المباشرة وغير المباشرة التي أثرت، وكوّنت شخصية الأستاذ أحمد نعمان في مشوار حياته الأولى هو أنّ أسرته، كانت لها مكانة مرموقة، ومشهورة في قرية ذبحان. فقد كان جده نعمان الجد الأكبر للأسرة من الشيوخ المشهورين في قرية ذبحان في أواخر حكم العثمانيين لليمن. وتولى أعمام أحمد نعمان مناصب خطيرة ومهمة في عهد السلطنة العثمانية في اليمن بمنطقة الحجرية، والتقى عمه أحمد نعمان ((بك)) السلطان العثماني محمد رشاد في الآستانة. وفي هذا الصدد، يقول: « وقد كان هذا الجد (يقصد نعمان) يعتبر (عمدة ذبحان)، ويسمى هناك الشيخ نعمان.

وقد أنجب أولادًا هم أبي، وأعمامي، تولوا السلطة في هذه المنطقة كلها. وعرفت أسرة بيت نعمان بأنهم مشايخ قضاء الحجرية. وكان أبرزهم عمي أحمد نعمان ((بك)) لأنه اتصل بالأستانة، وذهب مع مشايخ اليمن إلى السلطان محمد رشاد ومنح لقب ((بك)) « . ويذكر الأستاذ أحمد نعمان بأنه على الرغم من الشهرة العريضة التي اكتسبها جده ووالده وأعمامه في ذبحان، وقضاء الحجرية، كانت حياتهم يسيرة، ومتواضعة كحياة أهل القرية البسطاء ولم يعيشوا في الترف والنعيم، والبذخ، كما قد يتصور الآخرون لكونهم كانوا قريبين من العثمانيين في اليمن. وفي هذا الشأن، يقول: « . . . لكن الأسرة كانت تعيش في بساطة، فلا تجدون فرقا بينها وبين الآخرين، والعيشة عيشة شظف، مثلاً نتناول في الصباح قطعة من العيش (الخبز)، ونذهب